

وربما اتخذوا الكوروس من فضة قال ليد

فدعنا سره. الزكاه كما ددع ساقى الاعاجم الغربا^(٨)
وهذا شاهد استعمالها عند الاعاجم واما استعمالها عند العرب فدليلة قول النابغة
وتسى اذا ما شئت غير مصرّد يزوراء في حافاتها المسك كانع^(٩)

وقد اتخذوا القصاع من شجر الخليلج قال عبد الله بن قيس الرقيات

ان يمش مصعب فائاً بجير قد اتانا من عيشنا ما تزجي

هب الالف والخيول ويسني لبن الجخت في قصاع الخليلج^(١٠)

امين ظاهر خير الله

رجال المال والاعمال

لورد افيا

جاء في الانباء البرقية منذ ابام ان لورد افيا الارلندي تبرع بخمسين الف جنيه اعطاها
ملك الانكليز تذكراً لزيارته مدينة دبلن لكي يوزعها على المستشفيات في ايرلندا سراة كانت
للبرونستانت او للكاثوليك وعلى مستشفى السل في نيوكسل . وقد ذكرنا منذ بضع سنوات ان
هذا المحسن تبرع بمئتين وخمسين الف جنيه دنعة واحدة لتوسيع نطاق علم اصبح من اتقع
العلوم لتربح الانسان والحيوان وهو علم البكتيريولوجيا اي العلم الذي يبحث عن الميكروبات
والامراض الناشئة عنها وكيفية معالجتها . وقلنا هناك انه رجل كريم وهب هبات اخرى قبل
الآن لهذا الترض ثم رأى البلاد الانكليزية محتاجة الى دار كبيرة مثل دار باستوري بحث
فيها العلماء عن طبائع الميكروبات فوهبها هذا المال الطائل (انظر باب الاختبار العلمية في
مقتطف فبراير سنة ١٨٩٩)

وها نحن موردون الآن طرقاً من ترجمته ووصف العمل الذي جمع منه ثروته
من عادة الانكليز انهم اذا اعطوا لقب الاعيان اضطروا الى ترك اسم عائلتهم والتمسي
باسم آخر اذا سبقهم احد من عائلتهم الى رتبة الاعيان وايض اسم العائلة لنفسه كما ترى في

(٨) ددع ملاً . والزكاه اسم موضع . والغرب جام فضة

(٩) التصريد شرب دون الري . والزوراء مشربة من فضة مستطيلة الشكل والندح كذا جاء في لسان
العرب . وقال شارح ديوان النابغة زوراء دار بالحيرة للنعان هندبا جعفر وهووم . وكانع لاهق

(١٠) الجخت جمال طوال الاعناق . والخليلج شجر . فارسي معرب تتخذ من خشب الاواني

تلقب السرافين بارج بلقب لورد كرومر حيث نال لقب لورد لان واحداً من عائلته سبقه الى رتبة اللوردية ولقب نفسه لورد بارج. اما اذا كان هو اول من نال رتبة الاعيان في اسرته فالغالب ان اسمها يبقى له كما ترى في لورد كشتنر ولورد ملتر. ولورد ايفا من عائلة غوبنس وهي عائلة ارلندية خلت اول خطوة في سبيل الثروة على عهد جدتها ارثر غوبنس وكان خماراً يصنع البيرة الحمراء فانه اتباع خمارة كبيرة في مدينة دبلن وجرى في عمل البيرة فيها على احدث الاساليب المعروفة حينئذ. والبيرة شراب يستعمله الاورليون حتى الذين يجرمون شرب الخمر منهم ويشربه رجالهم ونساؤهم واولادهم على حد سواء ولذلك لا يعد عمله وبيعته من الخمرات بل من اساليب الصناعة والتجارة الخجلة التي يقبل عليها الناس من كل الطبقات واحب ارثر غوبنس مدينة دبلن واهتم بما يرقىها لانه افصح فيها فأكرمه اهلها وعدوه من الوجهاء بينهم. ولما شب اولاده اشركهم معه في عمله.

والولد الثالث من اولاده واسمه نيامين ولد سنة ١٧٩٨ ولما شب ابدى من الهمة في ادارة الاعمال ما جعل اياه يعتمد عليه ويسلم ادارة معمله اليد فنظمه ووسعه حتى ابلغه حداً يفوق كل ما قدره له ابوه. وهو اول من اهتم باصدار البيرة الارلندية الى مدن انكلترا وكتلندا واضطروا ان يغير انواعها لكي توافق اذواق الناس الذين ارسلها اليهم فعمت مصنوعاته البلاد الانكليزية كلها وانتشرت في اوربا وفي اميركا ايضاً لان شاربي البيرة وجدوا فيها شراباً سائفاً لم يذوقوا اطيب منه قبلاً فكثرت الطلب عليها حتى فاق ما كان ينتظره لكنه كان الرجل الذي اذا عرض له المصاعب قابلها بالحزم واذاعت اعماله التوسع لم يرض لها بالضيق فاخذ من ساعته يوسع معمله حتى ابلغه حداً يفوق التصديق ووضع فيه مراحل كبيرة جداً واتيته لم يرها مثلاً صناع البيرة في بلد من البلدان كغيرها حتى صار معمله اكبر معمل من معامل البيرة في المسكونة ولا يستطيع المرء ان يدريه من طرف الى طرف الا بسكة حديدية تجرها آلة بخارية. وبقي من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٦٠ يدير هذا المعمل بهمة لا تعرف الملل يوماً بعد يوم من الصباح الى المساء. يراقب كل فرع من فروع ويرشد العمال في اعمالهم ويختار الاكفاء منهم ويعتمد عليهم في ادارة الفروع المختلفة كل ذلك ورائده اللطف والدعة مع العمال حتى كانوا كلهم يعدون انفسهم من اصدقائه لا من صناعه فجمع ثروة طائلة وكان كثير المبرات ينفق على مدينة دبلن وفقرائها بسخاء حتى فعدته اهلها اعظم رجل بينهم يلقون به الخلمات ويقابلون نواب الدهر ومنحوه كل القاب الشرف التي في طاقتهم منها.

ومن اعماله الخيرية الكبيرة انه جدّ بناء كنيستهم الكبرى سنت بانرك وانفق على تجديدها ١٦٠٠٠٠ (مئة وستين الف جنيه) واستخدم له امر مهندسي العصر وامهر بنائيه ولما تمّ تجديدها انتخب عضواً في البارنت الانكليزي عن مدينة دبان وبقي في هذا المنصب الى ان ادركته الوفاة سنة ١٨٦٨ وبلغت تركته المصرية حينئذ توالي مليوناً ومئة الف جنيه وبقي معمله يزايد اتساعاً واتقاناً بعد وفاته وكان له ولدان شاركاه في ادارته وهما ارثرغويس وادورد غورنس وجريا على خطوه بعد وفاته ونجح اولها لقب لورد ارديلون والثاني لقب لورد ايثيا . اما الاول فباع نصيبه لاختيه بليون جنيه ونجح عن العمل وبقي اخوه فيد وكانت ولادته (وهو لورد ايثيا) سنة ١٨٤٢ ودرس في مدرسة دبلن الكلية وقال منها لقب دكتور في الشريعة المدنية واستقل بمعمل البيرة سنة ١٨٨٠ لما ابتاع نصيب اخيه واداره بهمة ونشاط ثم باعه الى شركة ماسمة سنة ١٨٨٦ بستة ملايين من الجنيئات واكثر اسهمها له وكان ثمن السهم الاساسي عشرة جنيئات فباع منذ سنتين ٥٥ جنيهاً

وحذا حدواييه واخيه في الاتفاق على الاعمال الخيرية وانفق اكثر من مليون جنيه على بناء البيوت الصحية لفقراء مدينة لندن ومدينة دبلن فافاد الفقراء فوائد لا تقدر ولا يزال يزايد كرمًا وهو يزايد غنى ولا عجب اذا ارتقت بلاد يكون فيها كثيرون من امثاله

لورد هندلب

البيرة شراب منمش يُصنع من الشعير المختمر ويصح ان يطلق عليها اسم الجمعة لانها كانت معروفة عند العرب بل عند المصريين القدماء لكن الاوربيين خصوصاً بالشرب الذي يعالج بحيشة الدينار ولا دليل على ان هذه الحيشة كانت تستعمل في استخراج الجمعة فابقينا كلمة بيرة على حالها امثالاً لتفوت هذه الدلالة وتلبس البيرة بشرب آخر يستخرج من الشعير ولا يعالج بحيشة الدينار

ذكرنا في الفصل السابق سيرة بيت غورنس الذين اثروا من عمل البيرة وصاروا من اشراف الانكليز . ولكن مقطوعة البيرة كبيرة جداً فقد كان لها في البلاد الانكليزية ٢٢٨٨ معملات سنة ١٨٩٨ وبلغ دخلها السنوي حينئذ ١٢١٤٠٥٢٢ اي اكثر من اثني عشر مليون جنيه ودخل معمل بيت غورنس وحده ٦٥٢٦٢٨ جنيهاً اي نحو خمسة في المئة من دخل المعامل كلها فلا بد من وجود معامل اخرى كبيرة لعمل البيرة

ومن اصحاب هذه المعامل بيت السوب ومعلمهم قديم جداً اخذوه من بيت ولسن وهو اولاد من بيت برتن ويمتد تاريخه الى قبل ايام الملكة اليصابات وآل الى بيت السوب سنة ١٨١٢

وكان اسم مديره حينئذ صموئيل السوب وكان كبير المهمة فوسّع العمل ووفّر ارباحاً وانتقل منه الى ابنه هنري السوب الذي صار لورد هندلب الاول وهو الذي وسع العمل وجعله من اكبر المعامل وافرغها ربحاً وجاء ابنه بعده فورث منه توة العقل وقوة الارادة. ولما آل العمل الى صموئيل السوب حرّله الى شركة مساهمة وكان دخله السنوي قد بلغ ٢٣٠ الف جنيه وكانت مبانيد تشغل أكثر من ٤٠ فداناً والى جانبه ارض مساحتها ١٤٠ فداناً لكي يملأها اذا دعت الضرورة. ولم يمضِ الا زمن يسير بعد ان تحولت الشركة مساهمة حتى صار دخله السنوي ٤٨٦ الف جنيه

ولم يمضِ لورد هندلب طويلاً بل توفي سنة ١٨٨٧ وكان كريماً ولاسيما على العمال الذين يعملون في معمله ولورد هندلب الحالي شاب ولد سنة ١٨٧٧ وانتظم في الجيش وحارب في الترنشال لورد برتن

ومن اكبر عمال البيرة في البلاد الانكليزية لورد برتن وكان جدّه صانعاً فقيراً اسمه ولیم باس ينقل البيرة من مكان الى آخر ليمها فخطر له ان يصنعها هو ويبيعها وكان ذلك سنة ١٧٧٧ فصنع معملاً صغيراً لعمله ورثه منه ابوه واسمهُ ميخائيل باس ووسعه واستعان برجلين من الاكفاء فاشركهم معه فاشتركوا في ربحه ومات اولها وخلف أكثر من مليون جنيه ومات الثاني تاركاً نحو ثلاثة ملايين جنيه ولا يزال اولادها مشتركين في هذا المعمل

وكان ميخائيل باس يصدر أكثر البيرة التي يصنعها الى بلاد روسيا وبلغت ذات يوم ان حكومة الروس فرضت مكاً ثقيلاً على البيرة الاجنبية فلم يعد في امكانه ان يصدر بيرة اليها ولم يبق امامه الا الاسواق الانكليزية فاضطر ان يصلح بيرته حتى توافق ذوق الانكليز وكان ذلك سبب نجاحه وثروته ولو بقي يصدر البيرة الى بلاد الروس كما كان يفعل اولاً لقيت بيرته من النوع الرخيص الثمن القليل الرواج القليل الربح لكنه استفاد من هذا النائية كما يستفيد كل ارباب الهنم من نوابب الدهر

واختلف تجار البيرة الذين يأخذونها الى بلاد الهند مع صاحب المعمل الذي يصنع لهم فعرضوا بيرته على المستر باس وسألوه عما اذا امكنه ان يصنع لهم بيرة مثلاً فأخذها وحلها حتى عرف اساليب عملها وعمل بيرة مرة مثلاً او اجود منها وارسلها الى بلاد الهند فراجت فيها رواجاً عظيماً وبلغ ثمن البيرة التي يصنعها معمل باس الآن خمسة ملايين جنيه كل سنة وجانب كبير من هذا الثمن ربح صافي لاصحاب هذا المعمل

ورقي ميخائيل باس الى رتبة الاشراف سنة ١٨٨٦ باسم لورد برتن